مقدمة

أود أن أشير في البداية أنني حين اخترت القصة العربية الليبية القصيرة موضوعاً لهذا البحث منذ سنوات كانت تدفعني –بشغف– رغبة شديدة في بحث هذا اللون الأدبي في القطر العربي الليبي بوصفه موجة في تيار الحركة الأدبية المعاصرة في وطننا العربي، إلى جانب الرغبة في الإسهام بما أستطيع من جهد مع الباحثين الآخرين في إعطاء الصورة المتكاملة للقصة المعاصرة في مختلف أقطار الوطن العربي كلّه، فأقبلت على الموضوع واثقاً غير هيّاب رغم المصاعب المختلفة التي كنت أدركها سلفا.

ومن هنا لم تكن مهمتي سهلة على كل المستويات: في الوصول إلى النصوص وفي التعامل معها وظروف العمل في ذلك سواء في التنقل بين (الجزائر) و (الجماهيرية) أو في ظروف المرابطة في (ليبيا) للبحث هناك في المراجع وجمع المصادر والعكوف على الدراسة هنا (في الجزائر) في ظروف أكتفى منها بالإشارة إلى ما يتعلق بمادة البحث نفسها.

فالوصول إلى النصوص وجمعها سواء في جانبها التاريخي أو الإبداعي قد تطلب مني جهداً مضنياً ضاعف إحساسي به الانتهازيين من الكتاب الليبيين، لكن سرعان ما خففت من وطأته الاستجابة التلقائية من إخوة آخرين. أما صعوبة التعامل مع هذه النصوص فترجع إلى أن الموضوع خصب ومجال بكر نظراً لانعدام البحوث العلمية الجادة في الموضوع، فلم تكن هناك دراسات رزينة تمهد السبيل غير مقالات صحفية سريعة محدودة حول أعمال قليلة تخضع لظروف آنية عادة.

وهكذا تشعبت صعوبات البحث فتطلب مني جمع النصوص تنقلاً من (الجزائر) إلى (الجماهيرية العربية الليبية) مرات عديدة بحثاً في المكتبات وللاتصال بأشخاص ومؤسسات ثقافية مما لم يكن البحث هيناً، الأمر الذي يدركه جيداً كل الباحثين في هذا المجال ويقدرون المعاناة في سبيله حق قدرها خاصة في الوطن العربي الذي يعاني كثيراً من الظروف السيئة في مجال البحث العلمي.

وفي عملية الجمع هذه اكتشفت غزارة الإنتاج القصصي في القطر العربي الليبي، وهو ما أخذ مني جهداً كبيراً مكثفاً، فغرقت – بعد الجمع– في الحشد الهائل من الأعمال القصصية، واستأثرت مادتها بكل اهتمامي غارقاً في القراءة والتصنيف ثم الانتقاء والدراسة، وضاعف الإحساس بهذا الجهد انعدام الدراسات العلمية في هذا المجال كما

سبقت الإشارة، فكنت كمن يجاهد في شق طريق له نحو غايته في غابة كثيفة متشابكة الأغصان منعدمة المسالك وبلا دليل أيضاً.

غير أنه- في جميع الحالات- كان لي من الإرادة والصبر ما ذَلَّلَ كل الصعوبات ما ذكرت منها وما لم أذكر، حيث استطعت أن أشق لي طريقاً في دراسة هذه المادة الغزيرة بفضل الصبر والتحمل ، فاخترت في البحث منهجاً تاريخياً نقدياً منطلقاً من نشأة القصة العربية القصيرة في (ليبيا) منذ الاستقلال متتبعاً تطورها في المضامين والأشكال حتى نهاية السبعينات، فعقدت لذلك بابين اثنين مسبوقين بتمهيد، ومقدمة بالطبع.

تحدثت في التمهيد عن الوضع التاريخي والسياسي والاجتماعي والثقافي في (ليبيا) منذ الاحتلال الإيطالي سنة ١٩١١ حتى الاستقلال سنة ١٩٥٢.

فحركة «الفاتح» فى سبتمبر من عام ١٩٦٩ وما أذنت به من تغيير على كل المستويات. وخصصت البال الأول للحديث عن القصة العربية القصيرة في ليبيا قبل ١٩٧٠، فتضمن هذا الباب ثلاثة فصول: عقدت الفصل الأول منها للحديث عن البدايات الأولى في نشأة القصة العربية القصيرة في (ليبيا) متتبعاً تطورها في المضمون والأسلوب حتى نهاية الستينات بقيام الثورة حسب المصطلح المتداول، وعقدت الفصل الثاني للحديث عن المقاومة وآثار الاستعمار كما جسدتها القصة الليبية سواء في ذلك أثناء عهد الاحتلال الإيطالي أو أثناء العهد الملكي، وآثار ذلك الاحتلال وتلك الهيمنة في النهاية: من شيوع للقيم المادية، وإهمال للريف، والأرض، وانتشار الآفات الاجتماعية مثل السرقة، والرشوة ، والتسول ، والانحلال الاخلاقي، والفساد في بعض المدن، إلى آخر ما هنالك من سلبيات كثيرة.

وأنهيت هذا الباب بفصل ثالث عن الأمومة والطفولة كما صورتهما القصة العربية الليبية، فالمرأة أم معذبة تعاني بؤساً وتعاسة في محيطها الاجتماعي كما تعاني الطفولة من واقع الحياة القاسي أو من التشرد والضياع نتيجة الإهمال وسوء السياسة الوطنية.

أما الباب الثاني فقد خصصته للحديث عن القصة العربية القصيرة في (ليبيا) في فترة السبعينات وقسمته إلى فصلين اثنين، بالإضافة إلى مقدمة قصيرة أوجزت فيها الحديث عن الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي بعد الثورة، فعالجت في الفصل الأول منه موضوع المرأة الليبية المعاصرة، فتحدثت عن قضاياها واهتماماتها التي اختلفت عن قضايا المرأة واهتماماتها قبل الثورة.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لقضية (فلسطين) كموضوع جديد بعد سنة ١٩٧٠م.

وذكرت في الخاتمة بإيجاز نتائج هذا البحث. وكنت أتمنى أن أضمّن البحث في النهاية ملحقا للتعريف بجميع القصاصين الذين تناولت إنتاجهم، لكنني رغم المحاولات الكثيرة التي بذلتها للاتصال ببعض القصاصين الذين تنقصني المعلومات الكافية عنهم فأنني لم أتمكن من الحصول على هذه المعلومات الضرورية حتى يكون هذا الملحق شاملاً لجميع القصاصين. بل إن أحدهم ظهر له أن من الواجب أن يبادر هو ببحث الموضوع في جامعة أوروبية (تهب) الشهادات للمتلصصين و المتلصصات.

ومهما تكن أهمية الجهد الذي بذلته والعمل الذي أنجزته فإن الكمال في كل شيء مستحيل، فلا كمال لغير الله، ويكفنيي أنني بذلت أقصى ما لدى من جهد حوالي خمس سنوات ليخرج البحث على هذا النحو كي يكون تمهيدا أو منطلقاً ذا أهمية- فيما نعتقد- لبحوث أخرى في هذا المجال وفي غيره من أنواع الأدب العربي الليبي المعاصر، وقد يكون أرضية لطرح المزيد من الأسئلة والقضايا وحافزا لبحوث جادة في هذا الميدان.

وأود في الوقت نفسه أن أؤكد بأنني تعلمت من هذه التجربة في البحث الكثير– فيما أتمنى أن يمدني الله به من عون- لإنجاز ما اعتزم من أبحاث أخرى في أدبنا العربي الحديث والمعاصر.

وأملى الوحيد أن يحقق هذا البحث هدفي منه وهو أن يضيء جانبا مهما في الأدب العربي الليبي المعاصر الذي هو بعض من الفكر الإنساني وجزء هام من الأدب المعاصر في الوطن العربي. قد يكون في هذا بعض العزاء عمّا عانيت في مراحل مختلفة، وحسبنا الله ونعم الوكيل [1] .

والله ولي التوفيق،

عمر بن قينة
٢٢/ ٤/ ١٩٨٢م

(١) سبق أن نشرت لي المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر كتاب (أشكال التعبير في ا لقصة الليبية القصير) سنة ١٩٨٦م ، وهو جانب في هذا الإطار من هذا البحث الذي يرى النور اليوم تحت العنوان الذي حمله الغلاف.

obeikandl.com

تمهيد
ليبيا من الاحتلال إلى الاستقلال

واجه الشعب العربي الليبي في الماضي غـزوا اسـتعمارياً مثلـه في ذلـك مثـل الـشعب الجزائري وشعوب كثيرة، وقد تمثل في استعمال أجنبي تحدوه أطماع كبرى، كما تحدوه روح التوسع في الأرض والسيطرة واستغلال الإنسان والطبيعة معاً.

ويدرك الدارس لتاريخ المغرب العربي ذلك الترابط المكين بين أبنائـه، وتلـك المحنـة المشتركة التي لا تكاد تصيب بلدا منه حتى تتجاوزه إلى غيره، ولا عجب في ذلك، ففـوق كون أطماع الاستعمار واحدة مهما اختلفت الدوافع والنيات، فـإن الأرض واحـدة لـو لا حدود خلقتها الحقب، وإن الشعب واحد في لسانه وعقيدته، وتاريخه، والنتيجة فإن هـذه الوحدة تكمن في عنـاصر مختلفـة، يزيـدها قـوة ومتانـة، وتـوغلا في النفـوس: أن خطـة الاستعمار واحدة، وأسلوبه واحد، كما أن أهدافه واحدة. ولم يختلف إلا أن تكـون إيطاليـا في ليبيا، وفرنسا في الجزائر ثم في تونس والمغرب، لأن العملية تدخل في إطار البحث عـن المجالات الجديدة للاستعمار، وتنافس أقطابه عن المواقـع سـعيا للاسـتغلال وللامـتلاك والنفوذ. وقد كانت هـذه المنطقـة مـن وطننـا العـربي هـدفا للاسـتعمار شرع في التمهيـد لابتلاعها، فخلق الأعذار للانقضاض عليها، ليحقق بالسلاح ما اسـتحال عليـه بغـيره، وهو ما فعلته إيطاليا في عملها لاحتلال لبيبا، فبعد أن ضاع أملها في تونس التـي احتلتهـا فرنسا اتجهت إلى ليبيا للتوسع، ولاحتلال موقع جديد على البحر المتوسط، يضاعف مـن مكانة إيطاليا فيه، ويزيـد هيبتهـا قـوة، كـما يحقـق في الوقـت نفـسه مطامعهـا في البحـث «لسكانها المتكاثرين في اطراد عن مستعمرة في حوض البحر المتوسـط، لكـي تـضع حـدا لهجرة شبابها إلى البلدان الأجنبية»[1] فشرعت تعمل بـدورها لابـتلاع هـذه المنطقـة مـن وطننا العربي بحثا عن الشواطئ والأرض وما يتوفران عليه من امتيازات يمكن الظفر بها كما ظفرت فرنسا بشواطئ الجزائر وتونس ثم المغرب، وما ملكت من امتيازات لها هناك.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فـارس،ومنير البعلكـي، ص: ٦٦٠ دار العلم للملايين، ط ٤ بيروت، ١٩٦٥م.

ومثلما تم افتعال الأسباب التي ترتب عنها غزو فرنسا لاحتلال الجزائر انطلاقاً من دور الرحّالين وكتابات العسكريين، ومرورا بديون القمح التي كانت للجزائر على فرنسا، وانتهاء بحادث «المروحة» المتعمد وغيرها من العوامل والملابسات، مثل ذلك حدث في ليبيا عندما حثّ الرحالون والعسكريون إيطاليا على عملية الاحتلال، فغذى هذا الاتجاه تلك الروح التوسعية الكامنة في كتابات بعض الكتاب الإيطاليين الذين دعوا في حرارة إلى العمل من أجل حصول إيطاليا على مواقع قريبة من ساحلها، ورأت إيطاليا أن الدخول في الحرب من البداية قد تكون مغامرة باهظة التكاليف، إذا لم يمهد لها، لذلك رأت إيطاليا أن تهيئ للاحتلال بواسطة مصالح مالية ومشاريع اقتصادية وزراعية. حيث حرصت على افتعال أعذار مقبولة تبيح لها مواجهة الحكم العثماني وتخلق في النهاية مبررات للاحتلال.

ولهذا حرصت إيطاليا على مدِّ نفوذها الاقتصادي والصناعي والثقافي كذلك، حتى إذا تعذر الاحتلال السلمي قلّت تكاليف الاستعمار العسكري بعد التمهيد له بالبعثات العلمية والتبشيرية، والنشاط التجاري والاقتصادي، والزراعي، من خلال إنشاء المدارس الخاصة، والبنوك، وتوظيف رؤوس الأموال بعد ما وفد «على البلاد عدد من الرحالين والمكتشفين لإعداد تقارير عن أوضاعها العامة، كما نشط الموفدون الدبلوماسيون الإيطاليون في التمهيد للاحتلال»[1].

وقد كان إنشاء فرع لمصرف روما* في ليبيا إحدى وسائل التمهيد للاحتلال عندما اتضحت استحالة الاحتلال السلمي بحيث صارت هذه الهيئة المالية من الأسباب البارزة في التعجيل بالاحتلال العسكري، وهذا بفضل الضغط الذي مارسه على الحكومة الإيطالية، نتيجة للمنافسة التي شرع يعانيها، وهيبته التي أخذت تتضاءل، ومشاكله

---

(١) معجم معارك الجهاد في ليبيا (١٩١١-١٩٣١) خليفة محمد التليسي، ص:٢١، دار الثقافة، ط/ ٢، بيروت، ١٩٧٣.

* فُتِحَ مصرف روما المركزي في مارس ١٨٨٠ «عند ما قرر وزير خارجية إيطاليا في سنة ١٩٠٥ إسناد مهمة توسيع النفوذ الإيطالي في ليبيا إلى مصرف روما. كان رئيس مجلس إدارة المصرف (ارنبستوبا شيلي) وقد بدأ نشاط مصرف روما رسميا في ليبيا، في ١٥ أفريل ١٩٠٧، وذلك بتأسيس فرع في طرابلس، وفيما بعد افتتحت فروع تجارية في بنغازي زوارة، خمس، سرت، مصراته، زليطن، درنه، طبرق، السلوم» انظر «لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي» د. محمد مصطفي الشركسي، ص: ١٨ الدار العربية للكتاب ط/ ١ طرابلس (ليبيا- تونس) ١٩٧٩..

القانونية التي بدأ يتخبط فيها، يضاف إلى ذلك حماسة عامة للاحتلال التي اعثرت البورجوازية الإيطالية، تصديا لبوادر النفوذ الانكليزي والفرنسي على الخصوص في البحر المتوسط، وبحثا عن هيبة وطنية تطلّع إليها العسكريون الإيطاليون بدورهم، باستمرار.

وهكذا وجد المناخ الذي تبرز فيه الدعوة إلى الاحتلال عسكرياً فتزعم الصحف الإيطالية خاصة في يومي ٢٥و ٢٦ سبتمبر ١٩١١ «بوجود موجة من الإرهاب ضد الجالية الأوروبية في طرابلس» وهو ما انتهى بالحكومة الإيطالية إلى توجيه إنذارها للسلطة العثمانية التي فاجأها هذا الإنذار في ٢٧ سبتمبر١٩١١ يدعوها للانسحاب، ويحذرها من عواقب المقاومة للاحتلال، وأكدت إيطاليا في إنذارها المياه الإقليمية الليبية، بل لم يلبث الاستعمار الإيطالي سوى يومين ليعلن الحرب رسمياً على ليبيا بعد انتهاء أجل الإنذار في ٢٩ سبتمبر ١٩١١، وذلك بعد أن اطمأن تماماً إلى عدم المعارضة الأوروبية [١].

كما ظن في الوقت نفسه بأن السكان سيستقبلون هذا الاحتلال بالترحيب لأنه في زعم المحتلين يحمل إليهم الحضارة والديمقراطية، وهكذا زحف الجيش الغازي على بلد يكاد يكون أعزل إلا من إيمانه، وعقيدة الجهاد المتمكنة في نفوس أبنائه، فالقوات التركية محدودة في عددها وعتادها، وتجهيزاتها تقليدية عادية جداً، وعددها لم يكن يزيد «على أربعة آلاف جندي موزعين على مختلف المواقع الداخلية، والساحلية، ويرابطون خلف بعض الحصون والقلاع العتيقة التي سكنتها الأساطيل الإيطالية منذ اللحظات الأولى للاحتلال»[٢] وهو تقصير واضح من السلطة العثمانية، في مجال الدفاع على هذا الإقليم وهي صاحبة السيادة عليه دوليا، فليبيا تابعة لها، فلم «تتخذ ما يلزم من إجراءات لدعم الدفاع عنها، بل أهملتها في مختلف نواحي النشاط والعمران، بل وسحبت منها معظم قواتها لمواجهة الثورات في البانيا واليمن»[٣] وذلك لا ينفي بذل الجهد من لدن

(١) انظر: ا- حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، د.منسي محمود صالح، سلسلة (دراسات) في الشرق العربي الحديث» رقم: ١، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، ١٩٧٢م.

ب- معجم معارك الجهاد في ليبيا، التليسي، ص: ٢٢.

جـ- لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا، د. محمد مصطفى الشركسي ص:٢٢.

(٢) معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١- ١٩٣١، خليفة محمد التليسي، ص:٢٣.

(٣) حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، د. منسي محمود صالح، ص: ١١٦- ١١٧، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر: ١٩٧٢.

العسكريين العثمانيين من ضباط وجنود، وصدق بلائهم في عملية التصدى الأولى للجيوش الغازية،ووقوفهم بشجاعة وإخلاص إلى جانب أبناء الشعب الليبي في الدفاع عن وطنه، لكن عدم التكافؤ أو الاختلاف الصارخ في ذلك عدة وعتادا بين القوات الغازية من جهة والسلطة الحاكمة وأبناء البلد من جهة ثانية، سهل الأمر منذ البداية على المحتلين الذين أخذوا يهاجمون البلاد في نقاط مختلفة في وقت واحد، عملاً بعنصر المفاجأة، وحرصاً على تشتيت عناصر الدفاع، وشلّ جهودها المحدودة خاصة بعد أن تأكد الاستعمار- في أرض الميدان- من إيمان شعب يرفض الدخيل الذي لا تربطه بالشعب الليبي رابطة من روابط التاريخ والجغرافيا، والدم والعقيدة، فأضحى الساحل الليبي ميدانا لمعارك ساخنة بين محتل مجهز، ومقاومة بإمكانيات محدودة، جعلتها تتراجع وتتقهقر عن المواقع الأمامية، فكانت (طبرق) أول مدينة تسقط في أيدى- الإيطاليين المحتلّين بعد أن قصفتها فرقة من الأسطول الإيطالي في ٤ أكتوبر ١٩١١م وذلك قبل سقوط طرابلس في ٥ من الشهر نفسه، وبنغازي في ٢٠ منه، وهذه المدينة الأخيرة كانت «من الأهداف الرئيسية ضمن خطة الغزو الإيطالي للمدن الليبية الرئيسية الواقعة على الساحل»[١] فكانت طرابلس وبنغازي المدينتين الهامتين اللتين استسلمتا للاحتلال الذي تدعم فيهما بعد معاهدة (أونشي- لوزان) في ١٨ أكتوبر ١٩١٢م التي تخلت تركيا بموجبها عن سيادتها في ليبيا[٢]، ولم يحتفظ الخليفة العثماني طبقا لها «إلا بحق تعيين الموظفين الدينيين»[٣] وإذا كانت القوة التركية قد استسلمت في آخر الأمر وشرعت تغادر البلاد في نهاية ١٩١٢م فإن الشعب الليبي واصل جهاده في سائر التراب الوطني مما جعل تقدم القوات الغازية إلى الداخل صعباً جداً، رغم الظروف القاسية التي كان يتحرك فيها المجاهدون الليبيون الذين صمدوا كثيراً مستبسلين في الدفاع عن البلاد وعقيدتها، محققين انتصارات كبيرة على المحتلين، لعلّ من أهمها الانتصار الكبير الذي أحرزوه في معركة «الرحيبية» المشهورة بالجبل الأخضر، في ٢٨ مارس ١٩٢٧م على قوات الاحتلال، لكن إمكانيات المجاهدين المحدودة وضراوة الاستعمار وقسوته عدداً وعتاداً كانت تتطلب عوامل خارجية تسهم في الحد من سطوته، وبعثرة جهوده، وتمدّ المجاهدين بالقدرة

(١) معجم معارك الجهاد في ليبيا: ١٩١١م-١٩٣١م، خليفة محمد التليسي، ص: ٢٣.

(٢) انظر المراجع السابق ص: ١٩، ٣٧، ٣٨.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ت: نبيه أمين فارس ومنير البعلكي، ص: ٦٠١، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٦٥.

للتفوق عليه، وهذا ما لم يتحقق. لذا تمكن الاستعمار الإيطالي من بسط نفوذه بعد التصفية النهاية لآخر معاقل الجهاد في برقة[1] في مطلع عام ١٩٣٢ وذلك على أثر اعتقال البطل الشهيد «عمر المختار»* في ١١ سبتمبر ١٩٣١ وإعدامه شنقاً في ١٦ من الشهر نفسه ١٩٨١، ولذلك أعلن الوالي العام الإيطالي على ليبيا (المارشل بادوليو) * يوم ٢٤ جانفي ١٩٣٢ في بلاغ رسمي خطّي لحكومته انتهاء المقاومة معترفاً ضمنيا بعنف المقاومين قائلاً في الأخير: «للمرة الأولى» منذ عشرين سنة على النزول بهذه البقاع تم بصفة نهائية احتلال المستعمرتين** وتهدئتهما، فليكن هذا التاريخ مبّررا فريدا من الرضي المشروع لنا جميعا، وليكن أيضا نقطة انطلاق نحودفع أقوى في سبيل التقدم الحضاري للمستعمرين[2]».

ولهذا نلحظ بعد ذلك نوعا من اليأس قد خيم على الشعب الليبي فأخذ يبحث عن طرق أخرى للكفاح والمقاومة الإيجابية والسلبية، تتمثل بالدرجة الأولى في الهجرة من البلاد ،كما تمثلت في حرص الليبي على صيانة تقاليده وثقافته وتراثه من التعرض للمسخ والضياع في انتظار الظرف الملائم الذي يعجل بنهاية هذا الاستعمار. وقد هيأت الحرب العالمية الثانية هذا الظرف فما كادت إيطاليا تدخل الحرب إلى جانب ألمانيا في ١٠ جوان ١٩٤٠ حتى دبت الحركة الثورية في صفوف الشعب الليبي الذي أعلن مقاومته من جديد للاحتلال الإيطالي، فدخلت فصائل المقاومة الحرب في وطنها إلى جانب اتكترا ضد إيطاليا أملا في التحرر من احتلال هذه الأخيرة.

---

(١) انظر كتاب «على مصطفي المصراتي الباحث الأديب» نجم الدين غالب الكيب، سلسلة كتاب الشهر، عدد: ٧ وحدة مطابع الجمهورية، طرابلس (ليبيا) من دون تاريخ.

* المارشال (بيتروبادوليو دي سابوتينو) ولد سنة١٨٧١. تولى منصب الوالي العام على ليبيا في سنة ١٩٢٨ حيث عمل من أجل القضاء على المقاومة فاستنفر لذلك جيوشه وضباطه، كما دخل مع (عمر المختار) في مفاوضات بين(جوان ونوفمبر ١٩٢٩) وحين فشل في الانتصار عن طريق المفاوضات أوكل مهمة القضاء على المقاومة إلى الجنرال (غراتسياني). وقد انتهت مهامه في ليبيا سنة ١٩٣٣ بعد إخماد الثورة بإعدام عمر المختار. وبعد نزول الحلفاء في ليبيا سنة ١٩٤٣ بإيطاليا وهزيمتها وسقوط (موسوليني) تولى(بادوليو) منصب رئيس الوزراء بايطاليا في الحكومة الجديدة التي عقدت مع الحلفاء هدنة الاستسلام والانضام إليهم.

** إقليمي «برقة» و «طرابلس».

(٢) انظر أيضا في الموضوع نفسه «ليبيا بين الحاضر والماضي» د. حسن سليمان محمود، ص: ٢٣٨، نشر مؤسسة (سجل العرب) ١٩٦٢م.

وشهدت الأرض الليبية معارك حامية انتهت بهزيمة الألمان والإيطاليين على الأرض الليبية، وبذلك زال الاستعمار الإيطالي لليبيا نهائيا في ١٩٤٤، وتَلَكَّأَ الحلفاء تجاه استقلال ليبيا ووحدتها الترابية مما اخضعها لانتداب انكليزي إلا أنه لم يطل كثيرا بفضل النضال المستميت لأبناء الشعب الليبي بالدرجة الأولى، فصدر سنة ١٩٤٩ قرار الأمم المتحدة لضمان استقلال ليبيا بتزكية من أمريكا، وينص على ألا يتجاوز تاريخ الاستقلال مطلع السنة الميلادية ١٩٥٢، فحاول الإنكليز بالخصوص تأسيس نظام فيدرالي، سعيا للتشكيك في وحدة أبناء القطر الواحد، لكن الشعب الليبي أجهض المحاولة بوعيه، وتكاتفه في النضال السياسي، فأعلن ملك ليبيا في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ «أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة»[١] فاتخذت الملكية نظاما سياسيا، وأصبحت عضوا في الجامعة العربية سنة ١٩٥٣، وعضوا في هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٥٥.

لكن ضعف النظام أوقعه تحت ضغوط السيطرة غير المباشرة للاستعمار الإنكليزي والأمريكي، خاصة من خلال المعاهدات التي أمست تربط ليبيا بكل من أمريكا وأنكلترا، حيث أباحت لهما بناء القواعد العسكرية، والامتيازات الخاصة في الاحتكار لثروة البلاد، والسيطرة الاقتصادية في عدة مجالات، وربما كان هذا معقولاً في البداية لطبيعة المرحلة الانتقالية، تحينا للفرصة المواتية، والظرف الملائم للخلاص من كل مظاهر الاستعمار، والتواجد الأجنبي، لكنه تواجد وتضاعف نفوذه، واستشرى خاصة بعد اكتشاف البترول في ليبيا لأول مرة سنة ١٩٥٩ مما فتح المجال أكثر للاحتكارات الاستعمارية والرأسمال الأجنبي، وسرعان ما نما جشع الاحتكارات الأجنبية أكثر وشجع الإقطاع القبلي والجهوية والمحسوبية، كما استغل هذا النفوذ الأجنبي مظاهر الانحراف الديني، والوطني متمثلاً في ذوي النفوذ والمسؤولية، للإثراء والتبذير، وتبعا لذلك: خضعت ثروات الوطن للنهب واللصوصية، فكان «تحالف الخبراء الأجانب مع كبار الموظفين البيروقراطيين يمثل شركة مؤتلفة [فتتم] الصفقة ويتقاسم الطرفان الأرباح مناصفة»[٢] وهو وضع خلق مناخاً سياسياً واقتصاديا ازداد فيه نمو الاتجاه إلى الربح الشخصي: والمصلحة الخاصة، كما ازداد التمسك بمظاهر التبعية للنفوذ الأجنبي المتجسد

(١) الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، د. محمد الصادق عفيفي، ص: ٧٥، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، ط١، ١٩٦٩..

(٢) دوافع الثورة الليبية محمد عبد الرزاق مناع، ص: ٣٧، ط٢ من دون ذكر للمطبعة ولا مكانها ولا تاريخ الطبع.

في قواته العسكرية الرابضة على الأرض الليبية، وشركاته المتعددة ذات المجالات المختلفة، والتأثير الكبير على سياسة البلاد.

هذا النفوذ المطلق هو الذي جعل الطائرات الأمريكية تنطلق بكل حرية من الأرض الليبية عندما اندلعت «حرب الشرق الأوسط» سنة ١٩٦٧ لتتدخل لصالح إسرائيل ضد العرب، فكانت التغطية الجوية للقوات الإسرائيلية ومهاجمة المطارات المصرية، مما جعل عبد الناصر يقول في عبارة دامعة: «أنه كان ينتظر العدو من الشرق فجاءه من الغرب»، وهو ما أثار غيرة الوطنيين النيبيين، وكان من بين العوامل التي عجلت بخطوة «الضباط الوحدويين الأحرار» في الجيش الليبي، ليعلنوا الثورة على النظام الملكي في ليبيا، يوم الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ فيطيحون به بشكل حاسم وسريع، لم يترك فرصة لتدخل أجنبي إلى جانب النظام، فكانت الانتفاضة المدروسة مباغتة ومذهلة، وتم بذلك قيام نظاماً جمهورياً في ليبيا باسم «الجمهورية العربية الليبية» وكان على رأس الاهتمامات الأولى لسلطة الشباب في القوات الليبية المسلحة: إجلاء القواعد العسكرية من ليبيا، وهو ما جعل رئيس مجلس الثورة يومئذ يلح على أن الثورة ناقصة من دون تصفية هذه القواعد، ورحيل آخر جندي أجنبي على الأرض الليبية، وهو أمر ينبغي أن يتم أو نستشهد دونه، وحاولت كل من بريطانيا وأمريكا بصفة خاصة التسويف ربحا للوقت، أو تمييعا للقضية، أو أملاً في واقع جديد، لكن الموقف الليبي كان جاداً وصارماً مما انتهى بدخول كل من بريطانيا وامريكا في مفاوضات مع السلطة الليبية، وانتهى الأمر بجلاء آخر جندي أمريكي في ١١ جوان ١٩٧٠ بعد ما رحل آخر جندي بريطاني من الأرض الليبية في نهاية مارس من السنة نفسها، وفتحت ليبيا ذراعيها للوطن العربي، والعالم الإسلامي، وأفريقيا، ومدت يدها لحركات التحرر في هذه المناطق من العالم الساخن، بفعل الصراع بين «الأيديولوجيات» من جهة وقوى التحرر والنظم الاستعمارية والعنصرية من جهة ثانية، فكانت ليبيا إضافة سياسية هامة، وكقوة ذات تأثير في الوطن العربي والقارة الأفريقية والعالم الإسلامي أيضاً، عملت على فتح نوافذ للمواطن الليبي ليتفاعل مع العالم، وليرتبط سياسياً أكثر بأمته العربية والعالم الإسلامي، وبذلك كانت ليبيا سنداً جديداً قوياً يقف إلى جانب الجزائر في معركتها مع بقايا النفوذ الاستعماري المتمثلة بالخصوص في الشركات البترولية، وقد عملت ليبيا بدورها- بعد تصفية القواعد الأجنبية- على تأميم البترول الليبي، ورغبة في التمكين لسلطة الشعب أكثر تحول شعار

الدولة إلى اسم جديد، في سنة ١٩٧٧ هو «الجماهيرة العربية الليبية الشعبية الاشتراكية» على أثر ما عرف بالإعلان عن قيام سلطة الشعب الصادر عن مؤتمر الشعب العام، في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق ٢ مارس ١٩٧٧م[١].وبرز اتجاه فكري جديد حرص على أن يجعل من السياسة هم كل مواطن، من خلال الممارسة والعمل على بناء دولة ليسهم فيها الجميع، خاصة من خلال «المؤتمرات الشعبية» كما طرحت سياسيا في «الكتاب الأخضر» الذي يدين سائر الأنظمة الأخرى ويرى أنها جميعا «نتيجة صراع أدوات الحكم على السلطة، صراعا سلميا أو مسلحا، كصراع الطبقات أو الطوائف أو القبائل أو الأحزاب أو الأفراد، ونتيجته دائماً فوز أداة حكم فرد أو جماعة أو حزب أو طبقة، وهزيمة الشعب، أي هزيمة الديمقراطية الحقيقة»[٢].

وقد أخذت تنمو في ظل هذا الواقع السياسي الجديد للثورة رؤى جديدة، كما بدأت تشيع أفكاراً وأساليباً جديدة، لكن قصر التجربة يجعل الحكم عليها صعبا لأن الأمر يحتاج إلى وقت أكثر لتبرز نتائجها المختلفة: في إطار السلوك والممارسات على المستوى الداخلي، وعلى المستوى الخارجي، هذه نظرة على العامل التاريخي أو السياسي للفترة التي بدأت تتضح فيها ملامح ثقافة وطنية سيأتي الحديث عنها في حينه، ولكن لابد أن نعرض للعوامل الأخرى الهامة في هذا التمهيد مثل الجانب الاجتماعي. وأول ما نلاحظه في فترة الاحتلال هو ذلك الصدام بين شعبين يختلفان في العقيدة الدينية، كما يختلفان في أسلوب

---

(١) وقد نص الإعلان على ما يلي:

«أولاً- يكون الاسم الرسمي لليبيا «الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية».

ثانيا - القرآن الكريم هو شريعة المجتمع، في الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية.

ثالثاً- السلطة الشعبية المباشرة هي أساس النظام السياسي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، فالسلطة للشعب ولا سلطة لسواه، ويمارس الشعب سلطته عن طريق المؤتمرات الشعبية والنقابات والاتحادات والروابط المهنية، ومؤتمر الشعب العام، ويحدد القانون نظام عملها.

رابعاً- الدفاع عن الوطن مسؤولية كل مواطن ومواطنة، وعن طريق التدريب العسكري العام يتم تدريب الشعب وتسليحه، وينظم القانون طريقة إعداد الإطارات الحربية، والتدريب العسكري العام».

(٢) الكتاب الأخضر ج١ معمر القذافي: ص: ٤ الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس (ليبيا) ١٩٧٧م.

العيش والحياة، فوق الاختلاف التاريخي والجغرافي، فهو صدام حضاري، صدام بالدرجة الأولى بين سلطة غازية لها أهداف سياسية واقتصادية، واجتماعية وثقافية، وبين شعب غُلِبَ على أمره، وقد وجد نفسه في الميدان وحده. فالوجود العثماني سرعان ما انتهى رسميا بعد اعتراف بأمر الاحتلال، وقدرات المواطنين الليبيين العسكرية محدودة وإن كانت خبرتهم بالحرب طويلة غير أنهم لا يملكون إلا وسائل قليلة، لكن زادت من فاعليتها إرادة مستمدة من طبيعة الرجل العربي الريفي بالخصوص، ومن هنا اتخذت المواجهة طابعاً ذا صبغة دينية واجتماعية في الوقت نفسه، تراجع فيها الشعور القبلي، وكبر الإحساس الوطني العام.

لقد حرصت المقاومة الليبية بصفة عامة على أن تطبع نضال الشعب الليبي بطابع وطني عام، فنما الشعور بالمصير الواحد في مواجهة الهجمة الشرسة للاستعمار الأجنبي، مما توارت معه النزعة القبلية، والصراع العشائري الذي كانت تغذيه عادات بدائية، وتقاليد متخلفة، فانزوى الحس القبلي وبرز الحس الوطني، وقد توحدت المشاعر والآمال دفاعاً عن الوطن.

لكن عندما تمكن الاستعمار من بسط سيطرته على البلاد تقوقع الليبي البسيط على نفسه، وراح يجتر ماضيه وآلامه استسلاماً لواقع صعب مؤلم، كما هاجر كثيرون من مثقفيه إلى الخارج فراراً من جحيم الاستعمار، وإن بقي الجميع يتطلعون إلى المستقبل، وقد لاح الأمل بإعلان المقاومة الليبية من جديد سنة ١٩٤٠ على إثر دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا كفرصة مواتية بالوقوف إلى جانب الحلفاء، فتحررت البلاد بذلك من الاستعمار المباشر، وأسرع الاستعمار الإنكليزي بالدرجة الأولى للاهتمام بدراسة التركيب الاجتماعي للشعب الليبي، وعمل بعد نية التخلي عن البلاد- كشأن النظم الاستعمارية- على بث التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، بمشروع «بيفن- سفورزا»* لاقتراح نظام

* نسبة إلى المستر «بيفن» وزير خارجية بريطانيا، و «سفورزا» وزير خارجية إيطاليا، وهو المشروع الذي يقسم ليبيا إلى ثلاث إمارات في ثلاث مناطق، وهي: (برقة) تحت الوصاية البريطانية، و (طرابلس) تحت الوصاية الإيطالية، و (فزان) تحت الوصاية الفرنسية. انظر مثلاً ليبيا بين الماضي والحاضر، د.حسن سليمان محمود: سلسلة «الألف كتاب» رقم ٤٢٦، ص ٢٥٧-٢٦٠، نشر مؤسسة=

فيدرالي، لكن الشعب الليبي أحبط المحاولة، وهذا لم يمنع الاستعمار الإنكليزي من أن يهيئ له جوا يساعد على نمو عملاء له بعد الانسحاب، يحافظون على علاقاتهم به، ويخدمون مصالحه المختلفة، ولا يمانعون في نفوذه الاقتصادي إلى جانب وجوده العسكري كما أسلفت.

وهكذا رأينا بعد الاستقلال الهيمنة الأجنبية التي تجسدت في ربط البلاد بالاحتكارات الأجنبية وجرها إلى الوصاية الفنية، والتبعية السياسية، كما نشط هذا النفوذ الأجنبي- بخطى مدروسة وعلى مراحل فيما يبدو- من أجل تحطيم القيم والمثل الوطنية والدينية التي حارب بها الشعب الاستعمار، من تآزر ومحبة ووئام، فحرص على صنع وضع طبقي خاص تنعم فيه فئة وتشقى أخرى، وتعلق أقدار ثالثة، كما حرص -وبحذر وحيطة- على تحطيم القيم في الإنسان الليبي سعيا لهدمه من الداخل، فينصرف إلى التكالب المادي حيث تكبر المطامع المادية، وتقوى النزعة الفردية، وفي المقابل يتلاشى دور الفكر موجها وقائدا ودور العقيدة محرّضا دائما للشعب على التقدم، وهي خطة يدمنها المستعمرون في كل الأزمنة والأوطان التي يحتلونها.

ودائماً يحز في نفوسهم أن يروا شعبا يسير انطلاقاً من رؤاه الخاصة، تشوفا لآماله، وتحقيقاً لوجوده واستقلال شخصيته بوحي من قيم التحرر والتحرير السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والأيديولوجي بصفة أخص، أو المفاهيمي كما يقول مالك بن نبي[1]. ويبهجهم أن يروه يتفتت من الداخل، وتنحل قيمه ومثله ليسهل انقياده، وتهون الهيمنة عليه بمختلف أشكالها.

وقد زادت ضراوة هذا الدور على إثر اكتشاف البترول في ليبيا الذي أحدث اكتشافه وتدفقه تغييرا كبيراً في الحياة الاجتماعية، فأتاح فرص العمل في سنة ١٩٦٢ لما يزيد عن ١١٠٠٠ عامل ليبي بالإضافة إلى نحو ١٣١٦ عاملاً غير ليبي. وفي الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٩ التي بدأ فيها تصدير النفط بكميات فقد كبيرة فقد ارتفع معدل الإنتاج اليومي

=سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٢، - أيضا تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، جون رايت، ترجمة/ عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني، ط، ١ طرابلس، «ليبيا» ١٩٧٢م.

(١)«آفاق جزائرية» مالك بن نبي، ت: الطيب الشريف، ص: ١٤٧، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر من دون تاريخ.

من نحو: ٠,٥ مليون برميل عام ١٩٦٣ إلى نحو: ١,٥ مليون برميل عام ١٩٦٦، ثم إلى ٣,١ مليون برميل عام ١٩٦٩، وبدأ الاقتصاد الوطني ينتعش انتعاشاً كبيراً، وينقلب من اقتصاد (مصاب بالعجز) إلى اقتصاد يحقق فائضا بسبب اكتشاف النفط، وزيادة إنتاجه، ووفرة عائداته[١] إلا أن مفعول ذلك في التنمية الاقتصادية والخدمات الاجتماعية كان محدودا بالنسبة لمستوى عائدات البترول.

وقد أثر اكتشاف البترول في الثروة الحيوانية سلبا، والأنشطة الزراعية التي أهملت العناية بها، فصارت ليبيا تستورد الإنتاج الحيواني والزراعي بعد ما كانت تصدره، وذلك بفعل الانصراف التدريجي عن الزراعة وإهمال تربية الماشية، والهجرة إلى المدن بحثا عن الرفاهية، والإقبال على العمل الأكثر ربحاً في المناطق البترولية خاصة، وفي الأعمال التي تخدم الصناعة البترولية.

نتيجة لذلك شرعت التجمعات السكانية تنمو، وأنماط اجتماعية تنشأ مما أدى إلى ظاهرة التفكك في الروابط العائلية في بعض الأوساط الريفية، وهي من الظواهر التي تصيب المجتمعات التقليدية في مثل هذه الظروف كما شرعت تشيع الظاهرة الاستهلاكية للسلع على المستوى الاجتماعي العام، وبدأت تبرز الفوارق بين أفراد المجتمع وبين المناطق، بصرف النظر عن الفوارق الصارخة بين الحياة في المدن والحياة في المناطق الريفية التي بقيت تعاني التخلف في التنمية الفلاحية، وفي الصحة والتعليم، ورغم الخسائر في الثوة الزراعية والحيوانية والاعتماد على الاستيراد فإن الثروة البترولية قد أحدثت تغييرا اقتصاديا واجتماعيا هاماً في ليبيا، رغم ما صاحب ذلك من مساوئ. وساعدت هذه الثروة وطنيا بالدرجة الأولى على تموين الحركة التعليمية التي نشطت نشاطاً ملحوظاً، وأتاحت إمكانات مالية هامة للبلاد، لكنها إمكانات كانت تستغل أكثرها الشركات الأجنبية، وسخر بعضها لرفاهية فئات محدودة في المجتمع وهي وضعية وصفها أحد الكتاب الليبيين بظروف النهب واللصوية من فئة بعض الإداريين، وأصحاب السلطة «أثرت ثراء فاحشاً على غير ركائز فأفقدها الثراء صوابها[٢]» فلم يلبث الأمر كثيراً حتى

(١) حقائق وأرقام عن الجماهيرية، الإدارة العامة للثقافة والإرشاد القومي، أمانة الإعلام، ص: ٢٧، ٢٨، طرابلس من دون ذكر للمطبعة.

(٢) دوافع الثورة الليبية، محمد عبد الرزاق مناع، ص: ٨٨.

«برزت الفوارق الاجتماعية ممثلة في أقلية، وصلت قمة الغنى الاعتباطي، تستمد وجودها من فساد الأوضاع والصفقات المريبة ... وأغلبية منغمسة في أوحال الفقر حتى الأذقان[1]» وهي أوضاع تتشابه في البلدان حديثة الاستقلال، حيث تحرص الفئات الطفيلية على التسلل إلى الصفوف الأمامية، وتكثر أشكال الانتهازية، فيرتدي ثوب الوطنية والنضال بل حتى الجهاد كثير من المشبوهين، ومن ذوي النيات السيئة، وأصحاب المطامح الشخصية، والمطامح القبلية والإقليمية، مما يؤثر على ثقة المواطن في السلطة، ويؤثر أخيرا في مسيرة البلاد نفسها، واتجاهها، ويفعل ذلك فعله في فساد الوضع الاقتصادي والاجتماعي، والأخلاقي بصفة أخص بالمعنى العام الشامل لمعنى الأخلاق.

وقد أدى هذا الوضع إلى فوارق اجتماعية حادة، فإلى جانب الفئة المنعمة التي أصابها ثراء فاحش هناك الفئة المشدودة إلى البؤس والحرمان، تبدو في الظاهر راضية بوضعها، لعدم وعيها أو لا مبالاتها أو زهدها، ولكنها كانت تحس بذلك في قرارة نفسها. وهناك فئة أخرى تكدح وتناضل بوعي لكن بصعوبة، وهي الفئة التي عملت للتغيير وتبنته منذ اللحظات الأولى في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ وهو العهد الجديد الذي شرعت تسخر فيه عائدات البترول لخدمة المجتمع كله، ولخدمة الأرض التي أهملت، فبدأت إعادة الاعتبار للجانب الزراعي الذي سخرت له الإمكانيات التقنية لاستصلاح الأرض وتنميتها وتعميرها في مختلف جهات القطر، فبدأ الاهتمام بمراعاة التوازن الجهوي، وتوزيع الثروة المالية بإتاحة فرص العمل لجميع المواطنين، وبمساعدة المعوزين والمعوقين،وعن طريق إحداث فرص عمل وتوسيعها في مختلف أوجه الحياة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، كما ظهرت نية الحرص على اجتثاث مظاهر التعصب القبلي، والانتماء الجهوي، مثلما شرع في إعادة الاعتبار للمرأة كعنصر منتج في إطار محدود، وحسب الحاجة والظروف الوطنية، والوضع الاجتماعي الذي يحتاج إلى وقت أطول لتسهم المرأة في النشاط الوطني على مستوى أعم.

ولا شك أن العوامل السابقة تؤثر في العامل الثقافي، فالمجتمع تركيب واحد تتداخل العوامل في نسيجه وتتشابك في تكوينه، فالحركة الثقافية تأثرت بما سبق، كما تأثرت بالحركة الأدبية في المشرق، لكن مع تخلف في نبض هذه الحركة الثقافية في ليبيا عن

(١) المرجع السابق، ص: ١٣٨.

المشرق، تفاعل المثقف الليبي مع الحركة الأدبية في المشرق، وحاول مجاراتها سواء على شكل نشاط صحفي، أو ندوات ثقافية، اتسعت لتجد لها مجالاً واسعاً في المساجد والزوايا، أو في الاهتمام بإحياء التراث، والاهتماما بالشعر نظماً وسماعاً.

وقد كان للشعر سبق في الظهور والشيوع في ليبيا في النهضة الحديثة، وهو أمر لا تختلف فيه ليبيا عن سائر الأقطار العربية الأخرى، وعلى الرغم من الظروف الصعبة المختلفة سواء قبل الاحتلال الإيطالي أو أثناءه أو بعده فإن الحركة الأدبية في ليبيا لم تخب وإن اختلفت مظاهر القوة والضعف في فتراتها التاريخية المختلفة.

ففي أواخر القرن التاسع عشر، قبل الاحتلال الإيطالي كانت النهضة الأدبية في المشرق العربي تجد لها صدى في ليبيا، سواء في مجال الشعر أو في مجال إحياء التراث، كما أسهمت مراكز الثقافة بدور بارز في إنعاش الحياة الثقافية، من خلال نشاط الزوايا، والمساجد والمكتبات.

كما أن انتشار الكتاتيب القرآنية إلى جانب المراكز الدينية قد أسهم إسهاماً ملموساً في الحفاظ على اللغة العربية، وإشاعة القراءة والكتابة بين المواطنين، وهو مما بدأ يشجع على حركة إحياء التراث العربي الإسلامي، وهو أمر يشير إلى نشاط أوسع بعد دخول المطبعة إلى طرابلس سنة ١٨٨٨ مما شجع على قيام بيئة أدبية، وصحفية، تسعى إلى مجاراة البيئة الأدبية والصحفية في بعض الأنحاء من الوطن العربي والبلاد الإسلامية، فكانت أول صحيفة شعبية تبرز إلى الوجود هي صحيفة «الترقي»[1] أما أول صحيفة على المستوى الرسمي، فهي صحيفة «طرابلس غرب»[2] الأسبوعية الحكومية المكتوبة (باليد) التي

(١) صدرت في ٢٦ من المحرم ١٣١٥هـ (٢٦/ ٦/ ١٨٩٧م) وهي جريدة أسبوعية في أربع صفحات، كانت تطبع في مطبعة الولاية، ثم صارت تطبع بمطبعة لها خاصة، وهي أول مطبعة أهلية. لمزيد من التفاصيل انظر الببليوغرافيا الليبية، ج١، (الدوريات) صفر ١٣٩٢هـ (مارس ١٩٧٢) مطابع الجمهورية، طرابلس.

(٢) صدرت سنة ١٨٦٦ وهي غير صحيفة (طرابلس الغرب) التي صدرت في ١٩٤٣ و ١٩٥٤. انظر «صحافة ليبيا في نصف قرن» على مصطفي المصراتي، مطابع دار الكشاف، ط١، بيروت. ١٩٦٠، والببليوغرافيا الوطنية الليبية». ج١ (الدوريات) ١٨٦٦-١٩٧١م ومن أهم صحف هذه الفترة «سيف الحق» التي صدرت بإشراف عبد الرحمن عزام في مصراته (١٩١٩-١٩٢٠) و «البلاغ» التي أصدرها المجاهدون في مسلاته ١٩٢١ وهي التي خلفت «اللواء الطرابلسي» الصادرة في =

ظهرت بالتركية أولاً، ثم بالعربية والتركية، وقد بلغ عدد الصحف قبل دخول الاحتلال الإيطالي نحو ثماني عشر صحيفة يومية وأسبوعية، منها الأدبية والسياسية، والاجتماعية. ومنها ما يجمع الألوان الثلاثة، وهو المستوى الكمّي من الصحف الذي بقي في عهد الاحتلال الإيطالي الذي لم يمنع إنشاء الصحافة لكنه أخضعها لقيود جعلت من وضع الصحافة وضعا صعبا تحت وطأة القهر السياسي والإداري، والمعاناة المادية للصحيفة، لكن المحاولات بقيت مستمرة صامدة، مما جعل وميض الحرف المكتوب لا يخبو وإن اعتراه ذبول نتيجة القيود التي وضعها الاستعمار الإيطالي للثقافة الوطنية بصفة عامة،ووسائل التوعية والتثقيف الوطنية بصفة خاصة، فعمل الاستعمار على نشر المدارس الإيطالية تمكينا للغته الإيطالية، حتى صارت «الإيطالية هي لغة التدريس للطلبة العرب، وهؤلاء كان الحرص شديداً على غرس الإيمان بالإمبراطورية الرومانية في أذهانهم»[1] فحرص الاستعمار الإيطالي على محو الشخصية الوطنية باضطهاد المتعلمين والمثقفين، والتضييق في مجال نشر الثقافة الوطنية التي احتمت في مختلف الجهادت من البلاد بالزوايا والكتاتيب القرآنية والمعاهد الدينية بصفة عامة* التي كان لها «أثرها البعيد

=٩/ ١٠/ ١٩١٩، وحمل شعارها ما يلي «احتجبت اللواء في فياهب الاستبداد، فنطق البلاغ في ربوع الحرية» وكانت تنشر منسوخة، لكن عمرها لم يتجاوز ستة أسابيع فسقطت شهيدة كغيرها من صحف أخرى.

(١) ليبيا بين الماضي والحاضر، د. حسن سليمان محمود (سلسلة الألف كتاب، ص: ٣٥٠، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٢م.

* وهو وضع شبيه بالوضع الثقافي في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، انظر مثلا في ذلك:

- الحركة الوطنية الجزائرية، د. أبو القاسم سعد الله، ج٢ص٦٦ ط٢، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧.
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث د. أبو القاسم سعد الله ص: ١٦٤- ١٦٥، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهة، ١٩٧٦.
- مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي، (١٨٣٠-١٩٥٣).

د. أبو القاسم سعد الله، مستخرج من مجلة البحوث والدراسات العربية عدد ٩ معهد البحوث والدرسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨.

- الشعر الديني الجزائري، د. عبد الله ركيبي، سلسلة الدراسات الكبرى ص: ٣٠، ٣١ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع٥ج، الجزائر، ١٩٨١م.

في الإبقاء على عناصر ومقومات الثقافة العربية والإسلامية[1] بل كانت لتلك الكتاتيب والمعاهد قاعدة أساسيةوهى تثقيف كثير من المتعلمين، الذين سرعان ما شقوا طريقهم في الحياة، واحتلوا مكانة اجتماعية وسياسية وفكرية هامة في حياة شعبهم. ولذا لم يفلح الاستعمار الإيطالي في إقامة قاعدة لثقافته في ليبيا وإن استطاع أن يجعل منها لغة ثانية لكثير من المتعلمين والمثقفين، ولذلك لم يستطع القضاء على الشخصية الوطنية الليبية بكل ما تحمله من قيم ومشاعر، كما لم يمزق وجوده الثقافي المثقفين الليبيين إلى عنصرين اثنين «معربين» و «مطلينين» على نحو ما ترك المستعمر الفرنسي في الجزائر، وهذا ما أبعد محنة الازدواجية الثقافية في ليبيا، تلك الازدواجية التي أوقعت سائر بلدان المغرب العربي في محنة من أمرها، وهي محنة لا تخفف شيئا من حدتها الدعوى بأن الثقافة الفرنسية أبرزت كتابا بالفرنسية في المغرب العربي، وقد أتيح لهم من وسائل الإعلام ما لم يتح لغيرهم من الكتاب باللغة الوطنية، وهو إشهار للغة الفرنسية قبل أن يكون إشهارا للكتاب الجزائريين بهذه اللغة.

وقد خضعت ليبيا في فترة الاحتلال لحصار ثقافي، فحاول الاستعمار الإيطالي الحيلولة بين المثقف الليبي وروافد الثقافة العربية في سائر البلاد العربية، فأمسى الكتاب العربي يهرب إلى ليبيا كما تهرب الأشياء الخطيرة على الأمن والاستقرار، وما كاد ينتهى الاستعمار الإيطالي حتى بدأت ليبيا تتطلّع لعودة أبنائها المهاجرين ليسهموا في مختلف المجالات ومنها المجال الثقافي، وهو الميدان الذي دخله المثقفون بواسطة الصحافة التي أمست أحسن حالاً من ذي قبل، فتخلصت من قيود الاحتلال الإيطالي، لتقاوم الانتداب البريطاني، فتلعب «دورا هاماً في خدمة القضية الوطنية، وذلك بجمع كلمة المواطنين

الشعر الجزائري، د. صالح خرفي، سلسلة الدراسات الكبرى، ص: ١٣، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.

– شعر المقاومة الجزائرية، د. صالح خرفي، سلسلة الدراسات الكبرى، ص ٢٨ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.

– الديسني حياته وأثاره وأدبه، عمر بن قينة ص١٠ سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

(١) رحلة عبر الكلمات، خليفة محمد التليسي، ص: ١٦٥، الإدارة العامة للثقافة (وزارة الإعلام والثقافة) سلسلة (كتاب الشهر) عدد: ١٣ طرابلس (١٩٧٣).

حول إبراز الكيان الذاتي الليبي، وتوحيد الجهود لمكافحة المناورات الاستعمارية، والمطالبة بالاستقلال التام»[1] فتجاوزت الصحف والمجلات في عهد الإدارة البريطانية خمسا وعشرين، خلال السنوات الثماني (١٩٤٤-١٩٥١) كما بدأ النشاط يدب في المجال التعليمي والثقافي بصفة عامة، فلاحت معالم اليقظة الفكرية لتستقبل البلاد الاستقلال بأمل كبير في نهضة ثقافية متميزة نسبيا، فكان قانون التعليم لسنة ١٩٥٢ «في طليعة القوانين التي صدرت»[2] ونص على ضرورة انتشار التعليم في مختلف أنحاء ليبيا، من التعليم الابتدائي إلى التعليم العالي. فأخذ الإقبال على التعليم يتزايد ابتداء من السنوات الأولى للاستقلال بفضل وعي المواطن الليبي الذي صهرته فترة الاحتلال، وتطلع لمكانة أفضل لابنائه الذين أضحت تستقبلهم المدارس الوطنية، تغرس في نفوسهم إيماناً بالعروبة والإسلام. وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في حياة المجتمع والوطن أكثر عمقاً ووعياً عن ذي قبل، كما تبدأ حياة جديدة في المجال الفكري والأدبي، وتتميز الفترة بالتفتح الواسع على الثقافةالعربية، وإعادة الاتصال بالوطن العربي بشكل أوسع، وقد لعب المهاجرون العائدون دورا بارزا في فك بقايا الحصار الثقافي «والاتصال بالتيارات والاتجاهات الأدبية في الشرق والغرب، فقد انفتحت الأبواب والنوافذ وأمكن للجيل الجديد الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية أن يقيم جسوره الأولى للاتصال بالحركة الأدبية في البلدان العربية[3]» وهي فترة تميزت بالإقبال الشديد على مختلف ألوان الثقافة، فنشطت الحركة الفكرية والأدبية في مجال الشعر والقصة والمقالة، وقد أخذت تطرح في الصحافة الليبية قضايا وظيفة الفن،وصلته بالمجتمع، والأديب والالتزام. بيد أن الواقع السياسي الذي شابته تبعية، وسيطرت على إطاراته قوى خارجية مارست نفوذاً واسعاً انعكس في هذه النهضة، فلم تكن في مستوى طموح المثقفين وإمكانات البلاد المتوفرة، خاصة بعد أن أصبح البترول مورداً ضخماً للبلاد، لهذا لقي الفكر عداء وسخرية من عناصر مختلفة في السلطة السياسية، ولعل هذا كان بإيحاء من الأجانب الذين يقدرون خطورة الفكر، ودور رجاله في صياغة الأحداث، وتطور الشعور القومي، والغيرة

(١) دوافع الثورة الليبية، محمد عبد الرزاق مناع، ص: ٤٩.

(٢) ليبيا بين الماضي والحاضر، د. حسن سليمان محمود، ص: ٣٥٠ الإدارة العامة للثقافة، وزارة التعليم العالي، سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٢.

(٣) رحلة عبر الكلمات، خليفة محمد التليسي، ص: ١٦٥.

الوطنية. لذا فضل السياسيون السذج ارتداء قمصان البطولة، والظهور بمظهر العظمة المتكلفة، وهي عظمة يهددها عادة الفكر الحرّ الواعي المتزن الذي غالباً ما يعرّى الزيف، ويساعد على وضع الأشياء في مواضعها، فيكون نصيبه عداء السلطة في الشعوب المتخلفة لعدة أسباب، في مقدمتها أن السياسيين البسطاء يعرفون خواءهم الذي يرفضه المفكر، ولذا تنمو فيهم عقد تجاه رجال الفكر عند انعدام الثقة المتبادلة في العمل لصالح الوطن.

ومن هنا رأينا الصحافة التي كان ينتظر منها أن تحمل لواء القيادة الفكرية والتوجيه الوطني تتعرض لمحنة لعلها لم تتعرض لها حتى فى عهد الانتداب البريطاني، فلم تعد صحافة البلاد منبر الإشاعة الرأي الحر أمام المثقفين، فقد وطني كل صوت صادق، ونزل على النفوس المتيقظة كلكل من اليأس»[١].

ولذا سقطت الصحافة في مستنقع الدعاية الكاذبة المتهافتة للسلطة، وصارت وسيلة رخيصة للربح، والإثراء، فأشاعت «الدجل والشعوذة السياسية الأمر الذي ولد في الحياة الأدبية ركوداً أو جموداً صلداً، أوشكا أن يفقد الجيل الجديد أصالة الجيل القديم المفكر[٢]» ولا يذكر هذا الكاتب وهو يسرد سلبيات عهد الاستقلال الجهود التي بذلت في بناء المدارس، وإنفاق الأموال في سبيل التعليم، وتوفير أطر التدريس ووسائل التعليم، ولكنه يستدرك فيقول: إن «المعطيات كانت عقيمة، وأشبه ما تكون بعمارة شاهقة شيدها أصحابها فوق الرمل[٣]» وبدل أن يركز الكاتب على قضية بناء الإنسان يكتفي بالقول: إن هذا التعليم خلق جيلاً يعاف الأرض، هو «جيل من الكسالى في بلاد العمل والنشاط»[٤]وهو بذلك يشير إلى ظاهرة الخمول عند المواطن الليبي الذي أمسى يتجنب بذل الجهد، وتحمل المشاق، وهي الحقيقة التي سجلها كاتب ليبي شاب في إحدى الصحف يؤمذ، في شهر جويلية من سنة ١٩٦٠: «الحقيقة الأليمة التي يجب أن يعرفها

---

(١) طاحونة الشيء المعتاد، عبد الله القويري، ص:٥، ط: ٢،دار الكتاب العربي، طرابلس (ليبيا) ١٩٧٣.

(٢) دوافع الثورة الليبية، محمد عبد الرزاق مناع، ص: ٥١.

(٣) المرجع السابق، ص: ١٢٤.

(٤) انظر كتاب «حتى قامت الثورة في ليبيا» (مجموعة مقالات) حسن على خشيم، ص: ٢٥، مكتبة الفكر، ط:١، طرابلس، ١٩٧٢، وكذلك ص: ٤٣. من ط:٢، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، يناير ١٩٧٩.

كل منا هي أننا شعب كسول، كسول جدا، لا يقدر قيمة الوقت، ولا يحسب للزمن حسابه»[1] واستمرت هذه الظاهرة بعد الثورة في عام ١٩٦٩ مما جعلت رئيس قيادة الثورة يندد بها كثيراً في خطبة للجماهير*.

ورغم ذلك ففي هذه الفترة الأولى من الاستقلال شهدت الحركة الأدبية نموا ونشاطاً، خاصة في مجال الشعر والقصة، وفيهما نستطيع تلمس موقف الأديب وإحساسه تجاه الوضع، وتفكيره، والقضايا الفكرية التي كانت تستقطب اهتمامه. لكن حركة النشر كانت تتعثر وتحكمها أحياناً عوامل تجارية من لدن بعض الناشرين. وهو الوضع الذي اختلف بعد الثورة في كثير من المجالات الثقافية: التعليمية منها والأدبية، فتضاعف الاهتمام بقطاع التعليم، وأتيحت فرص أكثر لمتابعة الدراسة العادية، وللتفرغ للدراسات العليا في الجامعات العربية والأجنبية، وأُنشئت الدار العربية للكتاب بوصفها مؤسسة للنشر بالاشتراك مع تونس، كما أسست الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان التي نشطت نشاطاً كبيراً في مجالي النشر والتوزيع، إلى جانب نشاط الجامعة والمؤسسات الحكومية الأخرى ذات النشاط المحدود، وبعض المؤسسات الخاصة في ميدان النشر، في إطار إحياء التراث أو في مجال الدراسات اللغوية والإنسانية، أو غيرها كالدراسات الفكرية العامة، ونشر الإنتاج الأدبي، القصصي وغيره، رغم أن بعض الكتاب شغلتهم

---

(١) حتى قامت الثورة في ليبيا (مجموعة مقالات) حسن علي خشيم، ص/ ٢٥ مكتبة الفكر، ط/ ١، طرابلس.

* قال العقيد معمر القذافي في إحدى خطبه يخاطب الجمهور في إحدى المدن «المصانع التي تبنونها الآن ليس لديكم من يشغلها، المزارع والمشاريع الزراعية، المهندسون الزراعيون يتهربون منها. مهندي من الخمس عيناه في (تاورفاه) في مشروع (تاورفاه) هرب، وبقينا نبحث عنه شهرين كاملين.

ذهبت أول أمس إلى غدامس، الطبيب الوحيد الذي وجدته في غدامس طبيب فلسطيني، لأن الليبيين لايريدون العمل في غدامس، لأن غدامس تقع في المريخ، وهم غير قادرين على الذهاب هناك».

«العمال في مشروع (الكفرة الزراعي) جايبينهم من تونس، ومن مصر، حتى الذين هم من أهل البلاد لا يريدون العمل في الزراعة، يريدون وظائف حكومية، ولا واحد من أهل المنطقة يعمل في المشروع ١٩٧٢».

انظر هذا النص في كتاب «الثورة الشعبية في الجمهورية العربية الليبية: حركة الشعب» صلاح الجبلالي، ط١ نشر دار مكتبة الفكر، طرابلس يونيو ١٩٧٣.

المسؤوليات السياسية والإدارية لحاجة القطر إليهم.

والخلاصة: أنه منذ الاحتلال الإيطالي مرورا بالانتداب البريطاني، وفترة الحكم الملكي، وانتهاء بالثورة في عام ١٩٦٩ كانت عين الأديب راصدة وقلمه مشرعا في الشعر الليبي الحديث أولاً، ثم في القصة الليبية الناشئة النامية.

وقد برزت النهضة الليبية بواسطة الشعر، والاهتمام بإحياء التراث، وكانت من البداية نهضة متفاعلة مع النهضة في الشرق العربي، في نموها وتطورها، وأمسى هذا التفاعل أكثر وضوحاً وأشد ظهوراً بعد الاستقلال، ثم أخذ يتلمس طريقه نحو الاستقلالية في المضامين. وإن بقي الأديب الليبي في أشكال التعبير تابعاً للحركة الأدبية في المشرق العربي: فإن حرصه بدا واضحاً في انتقاء مضامينه من الواقع الليبي الاجتماعي والنفسي، خاصة في القصة الليبية، وهي غصن في شجرة القصة العربية فهي أكثر حداثة لظروف كثيرة سنعرض لها في حينها.

ومهما يكن من أمر فإن هذه العوامل التي عرضنا لها فيما سبق تمثل المناخ العام للحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية للشعب الليبي أثناء الفترة التي سنعرض للقصة التي نشأت فيها بالتفصيل. وغرضنا من هذا التمهيد هو إلقاء الضوء على الخلفية للثقافة، ومكانة القصة بوجه خاص في المرحلة المشار إليها سابقاً.

وكما سبق القول فإن الشعركان هو الفن الذي واكب هذه الحياة بينما تأخرت القصة كما أشرت إليه. وهذا وضع تشترك فيه القصة العربية في معظم الأقطار العربية وإن تفاوتت النسبة فيها من بلد إلى آخر.

* * *